﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة التوبة – الآية (١٩)

الإهـــداء

- للبعيدين جداً ...
- للذين لا تصلهم كلماتنا ولا أصواتنا ...
- للذين غادرونا دون ترتيب ...
- ودون موعد مُسبق ...
- للذين لن يعودوا أبداً ...
- طبتم في فردوس الرحمن نعيماً ...

إلى الأحرار ...

شهداء العراق ...

أهدي لهم ثمرت جهدي

كلمـــة شكر

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن تخط الحروف ليجمعها في كلمات ... تتبعثر الأحرف وعبثاً أن تحاول تجميعها في سطور .

سطوراً كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلاً من الذكريات وصور تجمعنا برفات كانوا إلى جانبنا ... فواجب علينا شكرهم ووداعهم ونحن نخطوا خطواتنا الأولى في غمار الحياة ...

ونخص بالجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا ...

وإلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا إلى الأساتذة الكرام في كلية الآداب/ قسم الآثار ونتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور رجوان الميالي الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث فجزاه الله عنا خير فله منا كل التقدير والاحترام ...

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية القرآنية	أ
الاهداء	ب
كلمة شكر	ج
المحتويات	د
المقدمة	١ – ٢
المبحث الأول – لمحة تاريخية عن تأسيس مدينة الكوفة	٣ – ١١
المبحث الثاني – تخطيط وعمارة مسجد الكوفة	١٢ – ٢٢
المبحث الثالث – العناصر المعمارية للمسجد	٢٣ – ٣٠
الخاتمة	٣١ – ٣٢
المصادر	٣٣ – ٣٤

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية / كلية الآداب
قسم الآثار

عمارة
مسجد الكوفة

بحث تقدم به الطالب

حسنين عبد الأمير أمين

بحث مقدم إلى مجلس كلية الآداب / قسم الآثار كجزء من
متطلبات نيل درجة بكالوريوس في الآثار

بإشراف

الدكتور رجوان فيصل الميالي

١٤٣٨ هـ ٢٠١٧ م

المقدمة

مسجد الكوفة في العراق يعتبر من مساجد العراق الأثرية والتاريخية وهو أقدم المساجد في العالم الإسلامي، ولقد بنى المسجد الصحابي سعد بن أبي وقاص في عام ١٩هـ/٧٣٩م ليكون أول مبنى في مدينة الكوفة التي ستتحول فيما بعد إلى كبرى الحواضر الإسلامية ومقر خلافة الإمام علي بن أبي طالب (ع) . وينال المسجد قدسية كبيرة عند المسلمين الشيعة خاصة، ويضم المسجد مراقد العديد من الشخصيات الدينية ومن أشهرهم مسلم بن عقيل.

بعد انتصار المسلمين على الدولة الساسانية واسقاط عاصمتها المدائن. كتب سعد بن أبي وقاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يبشره بنصره، فامره عمر باتخاذ دار هجرة ومنزل للمسلمين. فاستوطن الجنود في الانبار لكن لم يستقم لهم الامر هناك حيث أصيبوا بالحمى فانتقلوا منها إلى مكان آخر فلم يكن أفضل من الأول. فاخذ سعد بن أبي وقاص يبحث عن مكان مناسب فاعجب بالبقعة التي صارت فيما بعد مدينة "الكوفة". فراسل الخليفة عمر بن الخطاب وأتفقوا على بناء مدينة في هذا الموضع. وكان أول بناء فيها هو المسجد. حيث أمر سعد برمي أربع سهام باتجاه القبلة والاتجاهات الاخرى فصارت هذه حدودا للمسجد .

ورد في الأخبار المأثورة في كتب السير والتواريخ. وورد أنه كان معبد الملائكة من قبل خلق آدم، وأنه البقعة المباركة التي بارك الله فيها، وأنه معبد آدم وما بعده من الأنبياء والمرسلين ومعبد الأولياء والصديقين، وأن من فضله عند الله أن المسافر حكمه التقصير في الصلاة إلا في أربعة مواضع : أحدها مسجد الكوفة، فله التخيير في القصر والإتمام. وقد وردت في فضل مسجد الكوفة أخبار كثيرة، ذكرها العديد من العلماء،

وكذلك ذكرها أهل السير والتواريخ من الخاصة والعامة، وأطنبوا في ذكرها وما في مسجدها من الفضل على سائر المساجد عدا بيت الله الحرام ومسجد النبي محمد.

ويتسع لأربعين ألف مصلٍّ، يتوسط صحنه بقعة منخفضة ينزل إليها بسلم وتسمى (السفينة).قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): ان الله اختار من البلدان اربع فقال عز وجل والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين) فالتين المدينة، والزيتون بيت المقدس، طور سنين الكوفة، وهذا البلد الأمين مكة) و فيه دفن مسلم بن عقيل و هاني بن عروة و المختار بن أبي عبيد.

ولأهمية المسجد ومدينة الكوفة التاريخية جاء البحث على أربعة مباحث كان المبحث الأول بعنوان لمحة تاريخية عن تأسيس مدينة الكوفة ، والمبحث الثاني تخطيط وعمارة مسجد الكوفة ، والمبحث الثالث مسجد الكوفة والآراء التي قيلت حوله ، واخيراً المبحث الرابع بحثنا فيه العناصر المعمارية لمسجد الكوفة ومن ثم خاتمة البحث وقائمة بأهم المصادر التي ساعدت في إتمام البحث والله ولي التوفيق .

المبحث الأول

لمحة تاريخية عن تأسيس مدينة الكوفة

مدينة الكوفة التي دعاها السريان عاقولا

ورد اسم مدينة عاقولا كثيرا في المصادر السريانية، لكن لايعرف بالضبط متى شيدت بلدة عاقولا؟ اذ قيل انها بنيت في ارض (الكوفة) على أنقاض مدينة فرثية بناها الملك ولكاش (فولكاش) الاول (٥١ –٨٧ م). واحيانا يرد اسم عاقولا ويقصد بها الكوفة او الكوفا. ويذكر المؤرخ ميخائيل الكبير في هذا المنحى: (ان القائد سعد قد عسكر بالقرب من مدينة الكوفة اي عاقولا.) مع العلم ان الكوفة لم تكن قد مصرت قبل فتح طيسفون اي في عام (١٧هـ – ٦٣٧ م). ونظرا لوجود آثار عشرة اديرة في ظاهر الكوفة فأن الباحث يتساءل هل يمكن ان تكون بلدة عاقولا قد بنيت بقرب الكوفة قبلها بزمن ثم طالها عمران الكوفة فأندمجتا معا بعد توسع مدينة الكوفة؟ ويذكر في هذا الصدد الباحث اديب نوار قائلا : ((كان في الكوفة اسقفان احدهما نسطوري والاخر يعقوبي، وكانا يسكنان في دار الروم لأن نصارى الكوفة كانوا يسمونها عاقولا بالسريانية((.[١]

ونقل الباحث المذكور عن المستشرق لويس ماستيون قوله : ((انه وجد في العصر الاسلامي رسامان من اصول صينية وكانا يسكنان في سنة (٧٥ هـ) في مدينة (يا – كيو – لو) اي عاقولا وهذا هو الاسم السرياني للكوفة.)) [٢] اما الباحث اللغوي الاستاذ ابراهيم السامرائي فيذهب ابعد من هذا متسائلا : ((الم تكن الكوفة الحاضرة التي مصرها

---

[١] امين ، حسين ، مسجد الكوفة في التاريخ ، مجلة الكوفة ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، ٢٠٠١ ، ص٥٦ .

[٢] الانصاري ، رؤوف محمد ، السياحة في العراق ودورها في التنمية والاعمار ، مطبعة هادي برس ، ط١ ، لبنان ، ٢٠٠٨ ، ص٧٧ .

المسلمون مكان الحضارة الارامية القديمة (كوثا) او في جوارها ؟ ان الحاضرتين الاسلامية والآرامية كانتا في ارض بابل في سواد العراق كما يقول ياقوت وليس غريبا ان تكون حاضرة المسلمين قد تبدلت بالثاء فاء وهذا يحدث كثيرا في الاصوات السامية((.

وفي كتاب ماضي النجف وحاضرها للشيخ جعفر آل محبوبة، ان الكوفة كان يقال لها عاقولة او عاقولا. وذكر التاريخ السعردي لمؤلف سرياني مجهول ان الكوفة كانت تسمى عاقول قبل بنائها. وفي كتاب تقويم الكنيسة النسطورية الذي نشره بطرس عزيز، ان الكوفة كان يقال لها كوبا اي الشوكة. وفي دليل الراغبين ان كوبا بمعنى عاقول. والعاقول نبت ترعاه الابل. وكان الناس منهم يقول عن هذا الموضوع عاقولا ومنهم من يقول كوبا وبين (كوبا دكملا) بالسريانية وبين عاقول تشابه في الاصول. قد يكون بعض رجال الفتح الاسلامي حينما قدموا الى المنطقة قد سمعوا بهذه اللفظة فأطلقوا على البلدة التي مصرت كوفة، وهذا ليس ببعيد لتضارب الاراء في اشتقاق كلمة كوفة من اصلها العربي وفي سبب تسميتها.[١]

وهي ثاني مدينة بنيت في كنف الإسلام بعد البصرة مباشرة بعامين. ويمكن أن يكون إنشائها على تخوم الصحراء وبجنب أكبر الحضائر العراقية(الحيرة) وفي الفرات الأوسط الوارث للتراث الحضاري العراقي (البابلي السومري)،بما جعلها تكتسي سمات إستثنائية وتبزغ فيها الروح الابداعية العراقية المخزونة في هذه المنطقة منذ آلاف السنين.[٢]

---

[١] البدري ، سامي ، النجف مرسي سفينة نوح (ع) ، مجلة تراث النجف ، العدد (١) ، السنة الأولى ، ١٤٣٠ ، ص١٠٢ .

[٢] البدري ، سامي ، النجف مرسي سفينة نوح (ع) ، مصدر سابق ، ص١٠٢ .

وتقع الكوفة في الجانب الغربي من نهر الفرات وعلى بضعة اميال الى الشمال الشرقي في مدينة الحيرة ذات الصيت الذائع قبل الاسلام، وهي الان على بعد ١٥٦كلم جنوب بغداد و١٨ كلم شرقى مدينة النجف الاشرف. كان القصد من انشائها عسكريا محضا اذ كان استجابة لبعد نظر استراتيجي ارتأه الخليفة عمر بن الخطاب، بحيث ان لا تحول مجاري انهار العراق عن الاتصال المباشر بها لتكون رباطا متقدما لجيوش المسلمين ينطلقون منها لفتوحات الشرق ويلجاؤون اليها اذا اصابهم هجوم مباغت. ويذكر الطبري في تاريخه (اخبار العام ١٨هجرية) في سبب بنائها ان سعد بن ابي وقاص بعد ان فتح العراق وتغلب على الفرس ثم نزل في عاصمتهم المدائن ثم بعث وفدا- الى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بذلك الفتح، فلما وصل الوفد الى عمر راى ألوانهم تغيرت وحالهم قد تبدل، فسأ لهم عن سبب ذلك فا جابوه[١] : تخوم البلاد غيرتنا، فامرهم ان يرتادوا منزلا ينزلون فيه المسلمين، لان العرب لا يلائمهم طقس بلد الا اذا جاء ملائما لمزاج ابلهم وكتب الى سعد "ابعث سليمان وحذيفة رائدين ليرتادا منزلا بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر". فارتاد سليمان وحذيفة جانبي الفرات نزولا من الانبار فلم يجدا افضل من موقعها لحصانته ولطوبوغرافيتها وارتفاعها، بحيث لا يردها ماء الفيضان ولقربها من ماء الفرات ومن مدينة الحيرة العربية التي كانت قد انشأت عام ٢٤٠م على يد عمرو بن عدي اللخمي (من بطون اليمن) وبمباركة فارسية لصيانة طريق القوافل القاطعة للصحراء .[٢]

امر سعد بن ابي وقاص بتاسيس الكوفة في يوم ٢٣ كانون الكاني (يناير) من عام ٦٣٨م على هذه البطحاء من الارض الخصبة الطينية التي اكتسبت اسمها منها فيقول

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، تاريخ الحيرة والكوفة ، مطبعة الفرقان ، النجف الاشرف ، ٢٠٠٧ ، ص٨٩ .

[٢] الانصاري ، رؤوف محمد ، المصدر السابق ، ص٧٧ .

الطبري : والكوفة على حصباء وكل رملة حمراء. يقال لها سهلة وكل حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة.

وجاء في تاج العروس سميت بالكوفة لاستدارتها وقيل عن الطرز المعمارية والفنية التي اكتسبتها المدينة الجديدة فالبيت الحيري المشهير ذوا التخطيط الخاص الذي قلده الكثيرون اينما اتسع الاسلام وقد ذكره العرب وحاكاه الخليفة العباسي المتوكل فبناء قصره (الجوسق الخاقاني) في سامراء حيث قاله ا لمسعود ي (ا حدث المتوكل في ايامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري ذي الكمين والاروقة) . [١]

لقد كان تخطيط المدينة دائريا غير منتظم وعلى الغالب انها سنة عمرانية مورست من قبل في مدن العراق قبل بغداد دار السلام. فقد وجدت في اشور والحضر قبل ذلك بسبب ما يوفر من اقتصاد في المساحة وعقلانية في توزيع الاحياء واتصالها بالمركز.

اما بيوتها فقد اختير لها مادة القصب الاولية في البناء نظرا لوفرتها في المنطقة وكذلك سهولة تنفيذ الحجر منها بخبرة محلية موروكة من ايام السومريين. وقد كانوا قد استخاروا الخليفة عمر فسألهم وما القصب ؟ فاجابوه : (العكرش اذا روى قصب فصار قصبا) فاعطاهم حرية هذا الاختيار بالرغم من عدم معرفة الفاتحين به. لكن الحريق الذي وقع في الكوفة والبصرة بعد عام واحد. من ذلك احالها الى رماد واحترق في الكوفة ثمانون عريشا. فاستأذنوا عمر البناء بالطين (اللبن) فأجبهم عارفا وناصحا: (افعلوا ولا يزيد احدكم على ثلاثة ابيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة) . [٢]

وهذه كانت المبادئ الاساسية ذات السمة الزاهدة في العمارة الاسلامية والتي حرفت بعد حين. فارسل سعد الى أبي الهياج فاخبره بكتاب عمر وامره بالمناهج ليكون

---

[١] البدري ، سامي ، النجف مرسي سفينة نوح (ع) ، مصدر سابق ، ص١٠٥ .

[٢] امين ، حسين ، مسجد الكوفة في التاريخ ، مصدر سابق ، ص٥٦ .

عرضى الشارع ٢٠م وما يليها ١٥ م وما بين ذلك ١٠ م والازقة ٣،٥ م ليس دون ذلك شيء وفي القطائع ٣٠م .

والظاهر ان ابى الهياج هذا كان من اوائل المعماريين في رحلة الاسلام الحضارية. وكان المسجد اول ما اختط في مركز المدينة المجازي والملموس ومن جهة القبلة تحاذية دار الامارة التي كان بينها وبين الجامع فجوة سرعان ما احتوتها دار الامارة بعد حالت سطو عليها فاصبح ملاصقا للمسجد وهذه السنة اصبحت القاعدة في تجسيد الحواضر الاسلامية في المستقبل،وهي سنة عمرانية موروثة منذ أيام سومر حينما كان قصر الحاكم يكون على تخوم المعبدبما يجسد تجمع روحي وسلطوي، مع ما هو نفعى وخدمي للمجتمع الاسلامي. وهذا المفهوم المثالي تجسد في رسالة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد حيث قال له : بلغني انك بنيت قصرا اتخذته حصنا ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس بابا فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال. انزل منه منزلا مما يلي بيوت الاموال واغلقه ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله. . . وهذه المعلومة تذكرنا بحالنا الحاضر لنقارن ونستنتج العبر .[١]

وبالرغم من التغييرات والاضافات التي طرأت على بناء القصر هذا ولكن شكله العام مربع طول ضلعه ١١٠ م ومعدل سمك جدرانه ١،٨م اضافة الى مخطط الجامع كذلك. ومن المعلوم ان الشكل المربع كان مفضلا لدى المخططين المسلمين نظرا لنسبة الجمالية ورمزيته بالاستقرار والعدل في توزيع الاضلاع ليعكس حالة فكرية معينة، ناهيك عن الرغبة في التمييز بين فكرهم وفكر اليهود والنصارى من قبلهم الذين اتخذوا من المثلث صيغة رمزية للنسب الجمالية والتخطيطية في فنونهم .[٢]

لقد كان الفضل لزياد بن ابيه في استعمال الآجر (الطوب) كمادة رئيسية في بناء المسجد ودار الامارة وذلك عام ٦٧١م فادخل بعض التحسينات والتعديلات عليها ليجعله

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

[٢] امين ، حسين ، مسجد الكوفة في التاريخ ، مصدر سابق ، ص٧٧ .

اكبر واجمل مسجد اسلامي انذاك – كما ذكر المستشرق ماسينيون وكذلك كرزول الذي قال – ان فن العمارة في الكوفة اخذت تسجل تقدما ملموسا في ايام زياد. فقد اعاد استعمال الاجر الحالة المتوارثة في العمارة العراقية وذلك باستعمال المحيطان السمكية الساندة والمسقفة بنفس المادة باشكال الطاق او القبو أو القبة بتقنية تنفيذية موروثة، توفر عليهم استعمال الخشب الذي نفتقر اليه بيئة المنطقة. اما المعالجات الفنية الداخلية فتظهر من زخارف الجص (ستوك) المنقوش بطريقة الحفر أو الصب الجاهز ثم تلون بالقرمزي والنبيذي وا لازرق وا لاخضر الغامق والبرتقالي والاسود. وظهرت كذلك الكتابات بالخط الكوفي باللون الاسود ومعظمها تنطوي على معاني الاستغفار والتوبة .[١]

ويذكر بعض المؤرخين ان دار الامارة هذه قد اقفرت في زمن الخليفة العباسي المهدي سنة. بعد ان كانت قد انتعشت المدينة ووصلت اوج عظمتها في العصر الاموي وقد أضمحلت بعد بناء واسط ومن ثم بغداد وفي الفترة الاخيرة من تاريخها تعرضت لهجمات القرامطة وعندما زارها الرحالة ابن جبير قال عنها: (ان معظمها خراب) اما مسجدها الجامع فلم يبق منه سوى الظلة. وجاءت ثالثة الأثافي عليها، حينما أنشأة النجف على تخوم مقبرتها، ففقدت مدد المكوث، وكادت أن تدرس. واليوم هي بحاجة الى دراسات أركيولوجيه معمقة، وربما يستوجب ذلك إعادة بناء قصر الإمارة، وترميم مسجدها بطريقة علمية وإرجاعه الى أول هيئته، كون أن معالمها تشكل أول تلاقح بين الإسلام والحضارات الراسخة من العراق القديم. [٢]

مسجد الكوفة والآراء التي قيلت فيه

مسجد الكوفة يعدّ رابع أهم المساجد لدى الشيعة الإثني عشرية بعد المساجد الثلاثة الأولى عند المسلمين في المكانة والسموّ وهي المسجد الحرام، مسجد النبي والمسجد

---

[١] الانصاري ، رؤوف محمد ، المصدر السابق ، ص٨٩ .

[٢] البدري ، سامي ، النجف مرسي سفينة نوح (ع) ، مصدر سابق ، ص١٠٢ .

الأقصى. كما يعتبر أحد أقدم الأماكن التاريخية والمقدسة وأهمها لإستقطاب الوافدين الزائرين إلى العتبات المقدسة في العراق .[١]

تفيد الروايات بأن أول من وضع الحجر الأساس للمسجد وشيّده بمساحة واسعة هو نبي الله آدم (ع) ثم أعاد إعماره النبي نوح (ع) بعد الطوفان. كما أن قام المسلمون في سنة ١٧ هـ عند أول تواجدهم في الكوفة بتعمير المسجد ودار العمارة وذلك في فترة حضره سعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي باقتراح من الثاني.

وقد قدم العديد من الأنبياء والأوصياء والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وعلي بن أبي طالب والسبطين عليه السلام إلى المسجد في طول تاريخه القديم.

وكان المسجد محط الأنظار بعد ما تصدى أمير المؤمنين لـخلافة المسلمين وحضر فيه سنة ٣٦ هـ وأقام الصلاة وألقى على منبره كثيراً من خطبه الشهيرة، وقام بأمر الحكم والقضاء هناك لمدة من الزمن واستشهد فيه أخيراً على يد أحد من الخوارج.[٢]

يحيط بالمسجد بيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ودار الخلافة ومرقد الصحابي ميثم التمّار وشخصيات أخرى كـمسلم بن عقيل والمختار الثقفي وهاني بن عروة. في المسجد مقامات عدة للأنبياء لها أعمال خاصة بها مذكورة في كتب الأدعية والزيارات.

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

[٢] امين ، حسين ، مسجد الكوفة في التاريخ ، مصدر سابق ، ص٨٩ .

وردت روايات في فضيلة مسجد الكوفة منها ما تعده قطعة من رياض الجنة، ومنها ما تدل على أنه سوف تتخذ مدينة الكوفة مركزاً لحكومة صاحب العصر والمسجد مقراً لقيادته (عج) في آخر الزمان. [1]

يعود أساس المسجد طبقاً لبعض الروايات إلى حياة نبي الله آدم (ع) ثم أعاد بناءه نوح النبي (ع) ، وفي رواية عن أبي جعفر الصادق (ع) نقلاً عن المفضّل أنه إنتهى بمعية الإمام الصادق (ع) إلى الكناسة فنظر جعفر بن محمد (ع) عن يساره ثم قال له: "ههنا صلب عمي زيد رحمه الله"، ثم مضى حتى طاق الزياتين وهو آخر السراجين، فطلب منه أن ينزل فإن الموضع كان مسجد الكوفة الأول الذي خطه آدم، وهو يكره أن يدخله راكباً، فسأله المفضل: "فمن غيّره عن خطته"؟ فأجاب: أما أول ذلك فالطوفان في زمن نوح، ثم غيره بعد أصحاب كسرى والنعمان بن منذر، ثم غيره زياد بن أبي سفيان، فسأله – وكأنه مستغرب ويسمع هذا لأول مرة – "هل كانت الكوفة ومسجدها في زمن نوح"؟ فقال له: "يا مفضل، وكان منزل نوح وقومه في قرية على متن الفرات مما يلي غربي الكوفة، ويضيف أن نوحاً كان رجلاً نجاراً فأرسله الله وانتجبه، ونوح أول من عمل سفينة تجري على ظهر الماء[2]، وأن نوحاً لبث في قومه الف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الهدى فيمرون به ويسخرون منه، فلما رأى ذلك منهم دعا عليهم...فأوحى الله إلى نوح (أن اصنع الفلك) وأوسعها وعجل عملها (بأعيننا ووحينا) فعمل نوح سفينته في مسجد الكوفة بيده يأتي بالخشب من بعد حتى فرغ منها".

يقول ابن الأثير اختطت الكوفة في سنة ١٧ هـ وتحول سعد إليها من المدائن. والسبب يعود على بعض الروايات إلى وصول خبر وخومة البلاد وتغيير ألوان جيوش

---

[1] الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع ، مصدر سابق ، ص٧٨ .

[2] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

المسلمين وحالها إلى عمر فأبعث سلمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس بينه وبينهم بحر ولا جسر، فأرسلهما سعد، فخرج سلمان حتى أتى الأنبار فسار في غربي الفرات لا يقتنع بموضع حتى أتى الكوفة، كما سار حذيفة في شرقي الفرات لا يقتنع بموضع حتى أتى الكوفة، – وكل رملة وحصباء مختلطين فهو كوفة – فأتيا عليها فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا ودعوا الله تعالى أن يجعلهما منزل الثبات، ولما نزلها سعد كتب إلى عمر و وصف له الكوفة، واستأذن أهل الكوفة في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة أيضا، واستقر منزلهم فيها في الشهر الذي نزل أهل الكوفة بعد ثلاث نزلات قبلها. [١]

ويضيف ابن الأثير أن أول شيء خط فيهما وبني مسجداهما، وقام في وسطهما رجل شديد النزع فرمى في كل جهة بسهم وأمر أن يبنى ما وراء ذلك، وبنى ظلة في مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة، وجعلوا على الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحد ببنيان. [٢]

---

[١] الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ، مصدر سابق ، ص٩٦ .

[٢] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

المبحث الثاني

تخطيط وعمارة مسجد الكوفة

يستفاد من الأحاديث المنسوبة إلى النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السّلام إن مسجد الكوفة كان موجوداً قبل أن يختطه سعد بن أبي وقاص. وهو موغل في قدمه ولا يسبقه في ذلك إلاّ المسجد الحرام، وأنه كان أكبر بكثير مما بني عليه في صدر الإسلام. فقد جاء في رواية عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنه قال: « لما أُسري بي مررت بموضع مسجد الكوفة وأنا على البراق ومعي جبرائيل، فقال: يا محمد، هذه كوفان وهذا مسجدها إنزل فصلِّ في هذا المكان.« ...[1]

وينسب إلى الإمام الصادق عليه السّلام قوله: « إن مسجد الكوفة رابع مساجد المسلمين، ركعتان فيه أحبّ إليّ من عشر في ما سواه، ولقد نُجرت سفينة نوح في وسطه، وفار التنور من زاويته والبركة فيه على اثني عشر ميلاً من حيث ما أتيته، ولقد نقص منه اثنا عشر ألف ذراع، بما كان على عهدهم ». وفي حديث آخر له عليه السّلام أنه كان مصلّى إبراهيم الخليل عليه السّلام .[2]

ولا تتوفر في الوقت الحاضر معلومات كافية عن جامع الكوفة ولم تشرع الدوائر المختصة في العراق بالتنقيب والحفر في خرائب الكوفة، وما جاور المسجد ودار الإمارة إلاّ منذ عهد قريب، وقليل من الباحثين من كتب عن الكوفة وخططها، ومن هؤلاء البلاذري في كتابه « فتوح البلدان » فأشار إلى إقامة المسجد وتحديد موضع القبلة فيه

---

[1] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٩٠ .

[2] الانصاري ، رؤوف محمد ، المصدر السابق ، ص٩٠ .

أولاً، وبتحديد موضع القبلة فيه أولاً، وكذلك فعل الطبري. ويبدو أن المسجد كان فضاء مكشوفاً ومن دون سور تقريباً .

ما شاهده الرحالة ابن جبير

وما نشاهد اليوم من بناء عبارة عن عمارة جددت ورممت مرات عدّة عبر قرون طويلة، والرحالة العرب الذين زاروا المسجد في عصور مختلفة لم يقدّموا لنا وصفاً وافياً عن عمارة المسجد إلاّ الرحالة الأندلسي ابن جبير[١] (أبو الحسن محمد الكناني ٥٣٩ ــ ٦١٤ هــ)، فقد زار الكوفة سنة ٥٨٠ هــ، وكتب يقول: « والجامع العتيق آخرها مما يلي شرق البلد، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق، وهو جامع كبير. في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة، وفي سائر الجوانب بلاطان. وهذه البلاطات على أعمدة من السواري المصنوعة من صم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة، مفرغة بالرصاص، وهي في نهاية الطول، متصلة بسقف المسجد، فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها. فما أرى في الأرض أطول أعمدة منه، ولا أعلى سقفاً، وبهذا الجامع المكرم آثار كريمة، فمنها بيت بإزاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال أنه كان مصلّى إبراهيم الخليل عليه السّلام، وعلى مقربة منه مما يلي الجانب الأيمن محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام ... وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت صغير يصعد إليه، فيه قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب .[٢]

ويتضح من وصف ابن جبير أن عمارة المسجد يومذاك تختلف عن عمارة الحاضرة، وأن ساحة المسجد لم تكن مكشوفة كما هي الآن، بل كان في وجهها القبلي سقف عريض يستند إلى خمسة صفوف من الأعمدة، وفي وجهاتها الأخرى سقف أقل

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص١٠٠ .

[٢] امين ، حسين ، مسجد الكوفة في التاريخ ، مصدر سابق ، ص٦٧ .

عرضاً من ذلك محمول على صفين من الأعمدة. أما الصحن المكشوف فكان منحصراً بالساحة الباقية خارجاً عن صفوف الأعمدة .[١]

إصلاحات العلاّمة بحر العلوم لهيئة المسجد

سنة ١١٨١ هـ / ١٧٦٨م، أجرى المرجع الكبير العلاّمة السيّد محمد مهدي بحر العلوم (رض) تغييراً كبيراً في هيئة المسجد المعمارية، وذلك بإزالة المعالم والأعمدة القديمة للمسجد، وكان ذلك حرصاً منه على قداسة المسجد وحرمته بعد أن تداعت جدرانه وأصبحت تهدد حياة زواره وقصّاده من جهة، ومن جهة ثانية للحفاظ على أرض المسجد من وطء الزائرين بأرجلهم ومن المخلفات التي يتركونها في أرض المسجد في مواسم الزيارة حيث يصطحبون أطفالهم ويمكثون ليالي عدة فيه .[٢]

وكانت أرض المسجد القديمة في مستوى الذي عليه اليوم أرض ــ بيت الطشت وارض سفينة نوح ــ المنخفضتين، فأمر السيّد بحر العلوم بطمر أرض المسجد القديمة بأنقاضه حتّى بلغ ارتفاع الأرض الجديدة عن الأولى حوالي أربعة أمتار[٣]، طمرت تحتها المقامات والأعمدة والمعالم القديمة الأخرى، ثم شُيّدت مقامات جديدة فوق مواقعها، ولم يسقف المسجد كما كان وبقي فناؤه مكشوفاً، ولوقاية الزائرين من حرارة الشمس والمطر،

---

[١] الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم النجف ، ج١ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط٢ ، ١٩٨٧ ، ص٤٥ .

[٢] الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ، المطبعة العالمية ، ط١ ، ١٩٧٠ ، ص٨٧ .

[٣] البدري ، سامي ، النجف مرسي سفينة نوح (ع) ، مصدر سابق ، ص١١٠ .

شيّدت مجموعة من الحجرات في جوانب المسجد... غير أن هذه التغييرات على وجاهتها حرمتنا من الاطلاع على المعالم القديمة للمسجد وطرازه المعماري الفريد.

وصف المسجد

المسجد بهيئته الحالية مبني على ساحة مربّعة الشكل، طول أضلاعها الأربعة يختلف بعضها عن بعض قليلاً، وأطوالها على التوالي، ١٠٠م، ١١٦م، ١٠٩م، ١١٦م. ويحيط بالمسجد المكشوف ــ بعد أن زالت أعمدته وسقوفه منذ زمن طويل ــ جدران عالية يصل ارتفاعها إلى نحو ٢٠ متراً، يدعمها من الخارج أبراج نصف دائرية عددها ٢٨، وفي كل ركن من أركان الجامع برج واحد .[١]

يتصل الجامع من جهتيه الغربية والشرقية بساحتين مسوّرتين محاطتين بغرف وأواوين، كما يتصل بالمسجد من الجهة الشمالية الشرقية بناء ذو فناء فسيح، أقيم في طرفيه مقامان، واحد يحتوي مرقد الشهيد مسلم بن عقيل رضي الله عنه ابن عم الإمام الحسين عليه السّلام ومبعوثه إلى أهل الكوفة، والآخر يحتوي على مرقد الشهيد هانئ بن عروة أحد أنصار سيّد الشهداء عليه السّلام الذين احتضنوا مسلم في الكوفة، وقد اغتالهما عبيدالله بن زياد وإلي يزيد بن معاوية قبيل معركة كربلاء، ودُفِنا في هذا المكان. ويقع بين المرقدين مجاز يؤدي إلى ساحة المسجد الكبير .[٢]

وأما صحن الجامع فمحاط من جميع جهاته بصف واحد من العقود وخلف كل عقد من العقود إيوان صغير يفضي إلى غرفة، وقد أقيمت هذه الغرف لإيواء الزوار

---

[١] البدري ، سامي ، النجف مرسي سفينة نوح (ع) ، مصدر سابق ، ص١١٢ .

[٢] الانصاري ، رؤوف محمد ، المصدر السابق ، ص٩٩ .

والمعتكفين في المسجد، وخلف العقود في الضلع الجنوبي يوجد رواق طويل وضمن هذا الرواق يقع مقام الإمام علي عليه السّلام.

وللمسجد مدخل رئيس كبير، يقع في الجهة الشمالية الشرقية، ركب عليه باب خشبي، ويسمّى « باب الفيل »، ــ وكان يسمّى سابقاً بــ « باب الثعبان نسبة إلى كرامة حدثت للإمام عليّ عليه السّلام فيما يختص بثعبان دخل من هذا الباب ــ والمدخل مسقوف عند الوسط بآجر مزخرف، وعلى هيئة وحدات، تتألف كل واحدة منها من نجوم اثني عشرية، ذات نسق هندسي متناظر، ويشاهد الداخل زخارف آجرية بسيطة، تتألف من وحدات على هيئة نجوم سداسية يعود تاريخها إلى القرنين السادس والسابع الهجريين، وقد زيّن المدخل المحيط بباب الفيل بالقاشاني الزخرف سنة ١٩٥٥م، وتعلو المدخل مأذنة حديثة، شيّدت سنة ١٩٥٦م، مكان المأذنة القديمة التي يعود تاريخها إلى القرنين السادس والسابع الهجريين، ويبلغ ارتفاعها ١٢ متراً. وعلى مقربة من باب الفيل في الضلع الشمالي استحدث سنة ١٣٨٨ هــ / ١٩٦٨م، باب جديد سمي بباب الرحمة .[١]

وهناك باب مسلم بن عقيل الذي يمثل الباب الثاني من أبواب الجامع، وقد أجري على مدخله العديد من التجديدات آخرها سنة ١٣٨٨هــ / ١٩٦٨م، بتبرع من السيّد توفيق علاوي، ومن ضمنها برج مربع مزيّن بالنقوش والزخارف الجميلة، وقد وضع داخله ساعة ذهبية كبيرة، كما ذهّب أعلاه حديثاً.

أما أرض المسجد المكشوفة الواسعة فمعظمها غير مبلط ما عدا بعض المساحات التي تقوم عليها محاريب عديدة بنيت للدلالة على المقامات والمصليات المنسوبة لعدد من

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام. وبالإضافة إلى هذه المحاريب التي كُتب عليها اسم المقام مع رقمه الخاص، هناك بناءان منخفضان هما :[١]

السفينة أو التنور

تتوسط السفينة أرض المسجد، وتقول الروايات أنه المكان الذي أقلعت منه سفينة النبيّ نوح عليه السّلام إبان الطوفان الكبير، والمقام منخفض مبني على شكل مثمّن، ينزل إليه الزائر، بسلّم يؤدي إلى مكان مكشوف يقود الزائر إلى حجرة صغيرة فيها محراب. أما فناء السفينة فيتألف من إيوانات ذات عقود مرصوفة بالآجر بشكل فني وترتفع إلى مستوى أرض المسجد .[٢]

بيت الطشت

وهو أيضاً سرداب يمتد تحت مستوى أرض المسجد وينتهي من طرفيه بدرجين مفضيين إلى مدخل ومخرج، وقد سمّي هذا المكان بهذا الاسم ــ كما تقول الروايات ــ نسبة إلى حادثة لها طابع الكرامة الإلهية، حيث أمر الإمام عليّ عليه السّلام بعض النسوة باستعمال طشت في هذا المكان لإخراج علقة كبيرة نمت في بطن فتاة عذراء، خفي أمرها على دوي الفتاة واتهموها جهلاً بأنها حبلى.

ونجول في أرجاء المسجد التأريخي المبارك مع الزائرين القادمين من بلدان إسلامية عديدة، يحدوهم الشوق للوقوف والتأمل والصلاة والدعاء في المواضع التي كانت مصلّى ومجلس الأنبياء والأئمّة عليهم السّلام، حيث يكون دخول الزوّار عادة من باب

---

[١] امين ، حسين ، مسجد الكوفة في التاريخ ، مصدر سابق ، ص٥٦ .

[٢] الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ، مصدر سابق ، ص٨٧ .

الفيل ليقوموا بمراسم الزيارة بترتيب خاص يشمل قراءة أدعية وزيارات والقيام بصلوات عند كل محراب ومقام من مقامات المسجد المنتشرة في صحنه وعلى جوانبه .[١]

ويبدأ التجوال من الأسطوانة الرابعة من أساطين المسجد التي استبدلت بها كغيرها بنية على شكل محراب، وهي تمثل مقام النبيّ إبراهيم عليه السّلام ومن هناك ينتقلون إلى محراب مجاور يسمّى بـــ « دكة القضاء » وهي المكان الذي كان يجلس فيه الإمام عليّ عليه السّلام للقضاء بين الناس، ومنه إلى سرداب الطشت الذي مرّ ذكره، ثم إلى دكة الإمام الصادق عليه السّلام القريبة من مرقد مسلم بن عقيل رضي الله عنه حيث كان يصلّي ويجلس للتدريس، ثم إلى دكّة المعراج الذي ذُكر أن النبيّ صلّى الله عليه وآله قد هبط وصلّى عندها ركعتين أثناء معراجه إلى السماء، ثم إلى الإسطوانة السابعة حيث يذكر أنها تشير إلى الموضع الذي وفق فيه الله تعالى آدم للتوبة، ثم إلى الأسطوانة الخامسة التي تسمّى بمقام جبرائيل عليه السّلام، ومقام الإمام الحسن عليه السّلام أيضاً، ومنها إلى الأسطوانة الثالثة أو دكّة الإمام زين العابدين ــ علي بن الحسين عليه السّلام ــ حيث شوهد يتعبّد عندها. بعد ذلك ينتقلون إلى مقام النبيّ نوح عليه السّلام وهو صفّة واقعة مما يلي باب الجامع. بعد ذلك ينتهي الزوار إلى محراب أمير المؤمنين عليه السّلام ومقامه في المسجد .[٢]

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

[٢] الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع ، مصدر سابق ، ص٤٥ .

مقام الإمام علي عليه السّلام

يتوجّه المؤمنون إلى مقام الإمام علي عليه السّلام في مسجد الكوفة بانكسار ووجوم حيث لا يتمالكون عنده منع دموع الحسرة من التساقط، وهم يتلون الزيارة، وكان تلك الحادثة المروّعة حين هوت يد الخارجي الشقي عبدالرحمان بن ملجم بالسيف على رأسه الشريف وهو ساجد يصلي الفجر، قريبة عهد منهم... وهذا المقام الذي يقع بإزاء الجدار القبلي للمسجد يشتمل على بيت للصلاة يتصدّره محراب أقيم محل المحراب الأصلي، مزيّن بالقاشاني الملون كتب في أعلاه: « هذا مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام ».[١] ويعدّ هذا المحراب من أجلّ المحاريب التي يضمها المسجد وعلى يمينه بوابة برونزية مذهّبة ذات نقوش مفرغة بها زخارف جميلة بالقاشاني الملون، وفي أعلاها آية: كلما دخل عليها زكريا المحراب وقوله عليه السّلام « فزت ورب الكعبة »، وعلى يمين المحراب منبر مشيد من الرخام الملون.

وبعد أن يطوف المؤمنون على بقية المحاريب والمقامات الموجودة داخل المجسد ومنها: متعبّد النبيّ إدريس عليه السّلام، والإمام موسى الكاظم عليه السّلام، وقبر المختار بن عبيدالله الثقفي زعيم التوابين الكائن قرب مقام مسلم بن عقيل، ينطلقون إلى مرقد مسلم بن عقيل رضي الله عنه من مدخل خاص حيث يقوم رواق مزيّن بالقاشاني والمرايا وعلى القبر شِباك فضي مشغول وفوقه تعلو قبّة كبيرة عالية مزينة بالزخارف والقاشاني من الداخل، وهي مغطاة بصفائح من الذهب من الخارج تضفي عليها بهاءً وجلالاً، ويعظم الزائرون مقام مسلم غاية التعظيم ويذكرون أثناء الزيارة جهاده وتضحياته المشهودة أمام ابن عمه الإمام الحسين عليه السّلام .[٢]

---

[١] البدري ، سامي ، النجف مرسي سفينة نوح (ع) ، مصدر سابق ، ص١١٥ .

[٢] الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع ، مصدر سابق ، ص٥٤ .

ثم يعمدون بعد زيارة مسلم لزيارة قبر رفيق جهاده هانئ بن عروة، الواقع خلف قبر مسلم في الجهة الشماليه، وعليه شِباك دائري من نحاس أصفر، وترتفع فوقه قبّة مزينة بالقاشاني الملون .[١]

بيت الإمام علي عليه السّلام

خارج مسجد الكوفة وفي جواره يقع لجهة القبلة بناء متواضع هو بيت الإمام علي عليه السّلام الذي كان يسكنه وقد غسّل فيه بعد استشهاده عليه السّلام، ويدخله الزوار أيضاً بسكينة وحزن ظاهرين، وأول ما يصادفك فيه ساحة صغيرة على يسارها غرفة صغيرة مقوسة السقف كتب عليها « غرفة الحسن والحسين عليهم السّلام » وعلى اليمين غرفة كبيرة كتب عليها: « هذا مغتسل أمير المؤمنين عليه السّلام بعد استشهاده عليه السّلام » يصلّي فيها الزوار ويقرأون ما تيسر من القرآن والأدعية والزيارات قريباً من محراب كتب فوقه « هذا موضع جلوس الإمام الحسن عليه السّلام عند وفاة والده عليه السّلام ». وعلى يمين هذه الغرفة منفذ يؤدي إلى عدة غرف كانت لبنات الإمام عليّ عليه السّلام ثم ينتهي البيت بغرفة فيها بئر ذكر أن الإمام عليه السّلام قد حفرها، وهناك يناولك الخادم كاساً من ماء البئر لتشربه تبرّكاً .[٢]

وبعد أن ينتقل الزوار لزيارة مرقد ميثم التمار أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام الخلّص الذي قتله عبيدالله بن زياد وصلبه على جذع نخلة، في هذا المكان القريب من بيت الإمام عليّ عليه السّلام، يلقون نظرة متأملة معتبرة على خرائب قصر الإمارة

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

[٢] الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ، مصدر سابق ، ص٩٠ .

وصار بعده منزلاً خاصاً بالخلفاء والأمراء، وقد هدمه عبدالملك بن مروان تشاؤماً منه لكثرة من تقلّب عليه من الخلفاء والأمراء والأعداء الذين قتل بعضهم بعضاً، كما شهد هذا القصر المؤامرات الدامية على أهل البيت عليهم السّلام. وقد كشفت مديرية الآثار العراقية حديثاً عن آثاره التي كانت مطمورة وتبين أنه كان محاذياً لضلع مسجد الكوفة الجنوبي، ومتصلاً به بمدخل خاص، وأن طول ضلع القصر نحو ١٧٧م، ومعدل سمك الجدران ٦ ، ٣م. [١]

ويحتل المسجد مكانة سامية بين المنشآت المعمارية العربية وقد لا يكون من المبالغة القول بأن عمارة المسجد هي الأساس الذي قامت عليه عمارة المنشآت الأخرى وإن كانت عمارة المسجد قد بدأت بسيطة بعيدة عن التكلف والتعقيد إذ أن المساجد الأولى كانت عبارة عن قطعة مربعة من الأرض يحيط بها سور أو خندق وكان سقفها تحمله أعمدة من جذوع النخل أو أعمدة منقولة من مباني أخرى كما في الجامع الكبير بصنعاء حوالي (٦هـ) ومسجد البصرة (١٤هـ) ومسجد الكوفة (١٧هـ) ومسجد عمرو بن العاص (٢١هـ) وقد أصبح المسجد النبوي بتخطيطه ذي الصحن وظله القبلة مع الأروقة الأخرى نموذجا يحتذى بواسطة الأجيال المتعاقبة من المعماريين العرب في شرق العالم الإسلامي وغربه مع إضافة بعض التعديلات التي أخذت من الطراز المحلية في كل إقليم إلى أن ظهر التخطيط الإيواني الذي صاحب نشأة المدرسة والذي يتكون من صحن مكشوف يحيط به أربعة إيوانات متقابلة حيث أصبح الطرازان معا يعتمدان كنواة لبناء المساجد من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .[٢]

---

[١] الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ، مصدر سابق ، ص٩٤ .

[٢] الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع ، مصدر سابق ، ص٦٠ .

وبالرغم من اندثار المساجد الاسلامية الاولى الا ان المراجع العربية حفظت لنا اوصافها الاولى والتغييرات والاضافات التي اجريت عليها كما ان الحفريات والتنقيبات في مواقعها اظهرت كثيرا من بقاياها .

ثم ظهر الطراز الثالث الذي يتكون من قسمين بيت الصلاة الذي تعلوه قبة ضخمة تحيط بها أنصاف قباب والقسم الثاني عبارة عن صحن مكشوف تحيط به أروقة وقد ظهر هذا الطراز منذ النصف الثاني للقرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي.[١]

وكان المسجد ولا يزال في بعض المدن يمثل القلب النابض لها حيث يقام حوله الأسواق والحوانيت ويتجمع حوله الباعة والتجار وتدور عمليات البيع والشراء وتعقد الصفقات كما أن المسجد كانت له أهميته الحربية حيث كانت تعقد فيه الألوية للجهاد كما كانت له أهمية سياسية حيث كان يتم فيه البيعة للخلفاء والأمراء وكان يتشاور فيه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم كما كان يعقد فيه مجالس القضاء والعلم .لذلك اهتم المسلمون بعمارة المسجد والمحافظة عليه والعناية بزخرفته وتنميقه ليبدوا دليلا على عظمة هذا الدين فازدهرت لذلك الحرف والصناعات والفنون التي كانت في بدايتها مرتبطة بالمسجد وعمارته أي أن المسجد كان محورا للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقضائية . [٢]

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

[٢] البدري ، سامي ، النجف مرسي سفينة نوح (ع) ، مصدر سابق ، ص١٢٠ .

المبحث الثالث

العناصر العمارية لمسجد الكوفة

١- أبواب مسجد الكوفة

أن أبواب المسجد عديدة ولعل أهمها:

أربعة أبواب أساسية لكل ضلع باب أكبرها (باب الفيل) ويسمّى (باب الثعبان) وهو المقابل للضلع القبلي لمقام الإمام عليّ عليه السلام ومنبره .. [١]

باب الثعبان أو باب الفيل

٢- باب الرحمة : وهي الباب التي تحاذي باب الثعبان وتقع في الجدار الشمالي للمسجد المعظم .

باب الحجة

٤- باب مالك الأشتر : وهي الباب التي تؤدي إلى المدخل الرئيسي لروضة مسلم بن عقيل (عليه السلام) وتقع في الجهة الشرقية ، من سور المسجد ويعتلي الباب منارة الساعة ، والتي يعود تاريخها إلى سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م . [٢]

٥- باب عبد الله بن عفيف الأزدي : وهي الباب الثانية التي تربط المسجد الأعظم بصحن مسلم بن عقيل (عليه السلام) وتقع جوار باب مالك الأشتر في الجهة الشرقية للمسجد المعظم .

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

[٢] الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ، مصدر سابق ، ص١٠١ .

٦- باب المختار الثقفي : وهي باب المسجد التي تدخل على حضرة مسلم بن عقيل (عليه السلام) من جهة الرأس الشريف.

٧- باب هانئ بن عروة : وهي باب المسجد التي تدخل على حضرة هانئ بن عروة (رضي الله عنه) من جهة الرأس الشريف . [١]

وأما الأبواب التأريخية في المسجد المعظم والتي توجد اليوم أثارها فقط فهي:

١- باب السدة : وهي التي كان يدخل منها أمير المؤمنين (عليه السلام)،وتقع في الجهة القبلية من المسجد أي في محراب الإمام علي (عليه السلام) على يمين الداخل وأثارها باقية إلى اليوم مقابل دار الإمام علي (عليه السلام) .

٢- باب كندة: وهي من طرف يمين المسجد من جهة الغرب وأقرب ما يكون من الزاوية الغربية بإيوانين وهي معلمة ألان على سور المسجد من الخارج.

٣- باب الأنماط: وهي تحاذي باب الثعبان في الجدار الشمالي للمسجد المعظم . [٢]

والجامع في الوقت الحاضر مربع الشكل تبلغ اضلاعه (١١٠مترا) و(١٠٩مترا) و(١١٦مترا) و(١١٦) مترا ويبلغ ارتفاع جدران السور حوالي (٢٠ مترا) .

ويدعم السور (٢٨ برجا) نصف دائري ، ويقع مدخل المسجد الرئيسي في طرف جدار المؤخرة الشمالي الشرقي ويتألف من اطار مستطيل يتوسطه عقد مدبب عند الوسط وحوله زخارف اجرية محفورة حفرا مخمليا جميلا وهذه الزخرفة تعود للقرن السادس الهجري . اما صحن المسجد فهو مكشوف توجد فيه مجموعة من المحاريب ويتوسطه

---

[١] الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم النجف ، ج١ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط٢ ، ١٩٨٧ ، ص٦٨ .

[٢] الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع ، مصدر سابق ، ص٨٧ .

موضع (السفينة) التي ربما كانت ارضيتها ارض المسجد الاول وقد حدد هذا المكان شكل مثمن ، ينزل اليه بسلم يؤدي الى بناء مكشوف وفيه حجرة صغيرة داخلها محراب ، وهناك اسطورة تقول ان مياه الطوفان التي غمرت العالم كله في عهد النبي نوح قد تدفقت من هذا المكان بالذات ... [١]

وتوجد في المسجد عدة مقامات منها: مقام النبي ابراهيم (عليه السلام) ومقام الخضر (ع) ومقام بيت الطشت ، ومقام النبي الاعظم محمد (ص) ومقام النبي آدم (ع) ومقام الامام الصادق (ع) ومقام جبرائيل (ع) ومقام زين العابدين (ع. (

وفي صحن المسجد اواوين عديدة على امتداد اضلاعه كل ايوان يشتمل على غرفة تستضيف الزائرين – وفي الروايات ان النبي محمد (ص) عندما اسري به ليلة الاسراء نزل في موضع مسجد الكوفة وصلى به .[٢]

٢- المآذن :

فظهرت القباب والمآذن والأعمدة والأبواب والسقوف المنقوشة وعلقت التحف والثريات وأضيئت بالأنوار الساطعة كما عنى عناية خاصة بالزخرفة وجعلها تحفة نادرة تضاف إلى الهيئة المعمارية الجميلة.. على أن الإسلام قد رغب عن هذه الأمور وكرهها ونهى عن زخرفة المساجد والإسراف في بنائها لئلا تشغل المصلين بروعة بنائها عن مراقبة ربهم، وحسن التوجه إليه، ومما يصح الاستشهاد به في هذا المجال إن عمر بن عبد العزيز عندما نظر إلى زخارف المسجد الأموي بدمشق عزم على إبطالها وروي أنه

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

[٢] الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع ، مصدر سابق ، ص٧٨ .

قال: (لقد هممت أن اعمد إلى تلك الفسيفساء، وذلك الرخام فأقلعه وأجعل مكانه طوباً، وانزع تلك السلاسل واجعل مكانه الستائر فأبيع ذلك وادخله (بيت المال) ثم عدل عن ذلك.

٣- المحراب :

محراب امير المؤمنين عليه السلام وموضع استشهاده-:

لقد انشئ حديثا بناء فخم كبير يضم موضع مصلى ومحراب امير المؤمنين علي (ع) وهو موضع استشهاده سنة (٤٠) هجرية ، وروعي في بناءه وتزيينه احدث الاساليب العصرية والفنون المعمارية وكسيت جدرانه والمحراب بانفس انواع المرمر المستخرج من قيعان البحار وكذلك من الالمنيوم المذهب وبني المنبر من الرخام الايطالي المعرق الفاخر وذلك تخليدا لذكرى سيد البلغاء والمتكلمين الامام علي (ع) والذي صدح فوق ذلك المنبر باروع الخطب البلاغية التي اصبحت مدرسة في علم البلاغة والبيان وهذا البناء بمجموعه يقع داخل المسجد الاعظم على امتداد الجدار القبلي .[١]

٤- الاعمدة :

تقوم بالقرب من الكوفة عدة مساجد ومقامات ومراقد ، منها مرقد (ميثم التمار) احد اصحاب الامام علي (ع) الابرار وكان تمارا.. والى جهة الجنوب يقوم بيت الامام علي (ع) الذي اتخذه مسكنا في اثناء خلافته وفي يوم استشهاده غسله ولداه الحسن والحسين (ع) من بئر لا تزال فيه ، وغرفة هي الغرفة نفسها التي عاش فيها الامام رغم مرور مئات السنين وبظهر الكوفة يقع (مسجد السهلة) [٢] وهو من المساجد المهمة التي يؤمها

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

[٢] الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع ، مصدر سابق ، ص٩٠ .

العرب والمسلمون لما فيها من قداسة جوانب روحانية عالية.. يقول الامام الصادق (ع) ما من مكروب يأتي مسجد السهلة فيصلي ركعتين بين العشائين فيدعو الله عز وجل ، إلا فرج الله كربته، وهناك رويات متظافرة تدل على ان بعض الانبياء قد مروا به وصلوا في موقعه ومحرابه . وفي وسطه توجد مقامات للنبي ابراهيم والنبي ادريس عليهما السلام ، وكذلك للامام الصادق (ع) والامام زين العابدين (ع) ، وكذلك مقام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) ، ومنها ان هذا المسجد كان قديما بيتا للنبي ابراهيم الخليل عليه السلام بعد خروج العمالقة وكان بيتا للنبي اديس عليه السلام الذي كان يصلي ويخيط به. وللمسجد سور عال يبلغ ارتفاعه (٢٠ مترا) وقد أفادت المصادر بأن المسجد نقلت إليه أعمدة كثيرة جداً فيه ابنية قديمة وقد حلفت في نقلها ان هدمت كنائس وبيع قصور في الحيرة وعلماً أن نعظم هذهِ الاعمدة اسطوانية الشكل مبنية بمادة الحجارة المنحوتة [١] .

٥- الأبراج :

ويلتصق بالمسجد من الشمال بناء يضم مرقدي (مسلم بن عقيل بن ابي طالب) سفير الامام الحسين عليه السلام لاهل العراق ، و(هاني بن عروة) الصحابي الجليل الذي قتل بسبب ولاءه ونصرته للامام الحسين (ع) وكذلك مرقد (المختار بن ابي عبيدة الثقفي) الاخذ بثأر الحسين (ع) وتقوم على ضريح مسلم قبة شاهقة مطلية بالذهب الخالص ، بينما يكسو القاشاني الملون القبة القائمة على ضريح هاني بن عروة ، ويتصل هذا البناء بصحن المسجد الجامع .

زود مسجد الكوفة بأبراج نصف اسطوانية جميلة جداً حيث رتبت بشكل متساوي ووزعت على جميع جدران المسجد الخارجية حيث يعود تاريخ هذهِ الإبراج النصف

---

[١] الاسدي ، كريم مرزة ، مصدر سابق ، ص٨٩

اسطوانية إلى الفترة الاليخانية بعد أن مر عليها تجديدات وترميمات متعددة خلال العصور اللاحقة للصعر الاليخاني علماً بأن ارتفاع هذه الأبراج هو بأرتفاع الجدران الخارجية التي تحيط بالمسجد[1] .

وفي الكوفة ظهرت الخطوط العريضة للنحو العربي على يد ابو الاسود الدؤلي واشتهرت مدرسته النحوية المتميزة في نهجها واسلوبها عن مدرسة البصرة النحوية . ومن كوفة الجند كان المنتبي الشاعر العربي المشهور.

[1] الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم النجف ، ج١ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط٢ ، ١٩٨٧ ، ص٦٠ .

الخاتمة

إثر الفتوحات الإسلاميّة في العراق وانهزام الساسانيّين، تحوّل المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقّاص إلى موضع الكوفة، بعدما أشار سلمان الفارسيّ على ابن أبي وقّاص بالتحوّل إليها، وكان أفضل من المناطق التّي حاولوا الإستقرار فيها، فعمد ابن أبي وقّاص إلى تمصيرها [جعلَها مصراً، أي: بلداً]، وبنى فيها المسجد الجامع، ووافق مكان بنائه، من دون علمه، الموضع الذي تحدّثت الروايات عن أنّه مهبط الملائكة، وحيث خطّ آدم عليه السلام مكاناً للعبادة، وموضعَ صناعة سفينة نوح عليه السلام.

وكان ابن أبي وقّاص قد استعان بعمّار بن ياسر، وبأبي الهيّاج الأسديّ، أحد رواة أمير المؤمنين عليه السّلام، لتخطيط الكوفة، ثمّ اختطّوا المسجد على عِدّة مقاتلتهم، أي أربعين ألف إنسان، وبنوا لسعد قصراً وهو دار الإمارة الملاصق للمسجد والماثلة أطلاله اليوم جنوبَه، وكان ارتفاع جدران قصر الإمارة نحواً من سبعة عشر متراً، وكان بينه وبين المسجد ممرّ سرّي يُفضي إلى باب يفتح على سدّة فوق محراب المسجد.

تبلغ مساحة مسجد الكوفة حاليّاً أكثر من اثني عشر ألف متر مربّع، وهو مربّع الشكّل، يبلغ ارتفاع أسواره نحواً من عشرين متراً، يدعمها من الخارج ثمانية وعشرون برجاً على شكل أنصاف دوائر. يقع مدخل المسجد الرئيسي في طرف جداره الشمالي الشرقي، بحيث يكون الداخل إليه مواجهاً للقبلة، وعلى باب هذا المدخل زخارف آجريّة محفورة حفراً مخمليّاً جميلاً تعود للقرن السادس الهجري.

أمّا صحن المسجد فهو مكشوف، توجد فيه مجموعة من المحاريب، ويتوسَّطه موضع سفينة نوح عليه السلام، وقد حُدِّد هذا المكان بشكل مُثَمَّن، يُنزل إليه بسلّم يؤدّي إلى بناء مكشوف، وفيه حجرة صغيرة داخلها محراب. وفي رواية عن أمير المؤمنين

عليه السلام: «..وفي زاويته فار التّنور..»، إشارة إلى قوله تعالى في سورَتي هود، الآية ٤٠، والمؤمنون، الآية ٢٧، والمقصود بفوَران التنوّر تدفّق الماء الذي كان علامة على بدء الطوفان بجوار مسجد الكوفة يقع بيت الإمام علي عليه السلام، ولا يزال البيت مزاراً للمؤمنين وعليه قبّة خضراء.

المصادر

١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥ م

٢. الاسدي ، كريم مرزة ، تاريخ الحيرة والكوفة ، مطبعة الفرقان ، النجف الاشرف ، ٢٠٠٧ .

٣. امين ، حسين ، مسجد الكوفة في التاريخ ، مجلة الكوفة ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، ٢٠٠١ .

٤. الانصاري ، رؤوف محمد ، السياحة في العراق ودورها في التنمية والاعمار ، مطبعة هادي برس ، ط١ ، لبنان ، ٢٠٠٨ .

٥. بحر العلوم، السيد مهدي، الفوائد الرجالية، تحقيق: بحر العلوم، السيد محمد صادق و السيد حسين ، ط: الأولى، مكتبة الصادق، طهران، ١٤٠٥ هـ

٦. البحراني، الشيخ يوسف، الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة، مؤسسة النشر الإسلامي

٧. البدري ، سامي ، النجف مرسي سفينة نوح (ع) ، مجلة تراث النجف ، العدد (١) ، السنة الأولى ، ١٤٣٠ .

٨. الجبوري ، كامل سلمان ، مساجد الكوفة ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٩٧٧ .

٩. الحر العاملي، إثبات الهداة، مؤسسة الأعلمي، ط: ١، بيروت، ١٤٢٢ هـ

١٠. الخياط ، جعفر ، النجف في المراجع ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم النجف ، ج١ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ط٢ ، ١٩٨٧ .

١١. الدجيلي ، جعفر ، موسوعة النجف الاشرف ، النجف قديماً ، اشراف لجنة من رجال الفكر والعلم ، ج١ ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٩٣ .
١٢. الزبيدي ، محمد حسين ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ، المطبعة العالمية ، ط١ ، ١٩٧٠ .
١٣. الزبيدي، المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر
١٤. الصدوق، ابن بابويه القمي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، جامعة المدرسين في الحوزة العلمية، ط ٢، قم
١٥. الصدوق، ابن بابويه، الأمالي، أبي جعفر محمد، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، (مؤسسة البعثة)، ط: الأولى، قم، ١٤١٧ هـ
١٦. الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة، تحقيق: عباد الله طهراني و علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، طبعة محققة: الأولى، قم، ايران، ١٤١١ هـ
١٧. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق: السيد الخرسان، حسن، ط: الثالثة، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٦ هـ
١٨. القمي، الشيخ عباس، مفاتيح الجنان، تحقيق: محمد رضا النوري النجفي، مكتبة العزيزي، قم، ٢٠٠٦ م
١٩. الكليني، الكافي، تحقيق: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٩ هـ
٢٠. المجلسي، بحار الأنوار، تحقيق: السيد ابراهيم الميانجي، محمد باقر البهبودي، ط: الثانية، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ هـ
٢١. المدني، ابن معصوم، الطراز الأول، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط: الأولى، قم، ١٤٢٦ هـ .

الملاحق

مسجد الكوفة

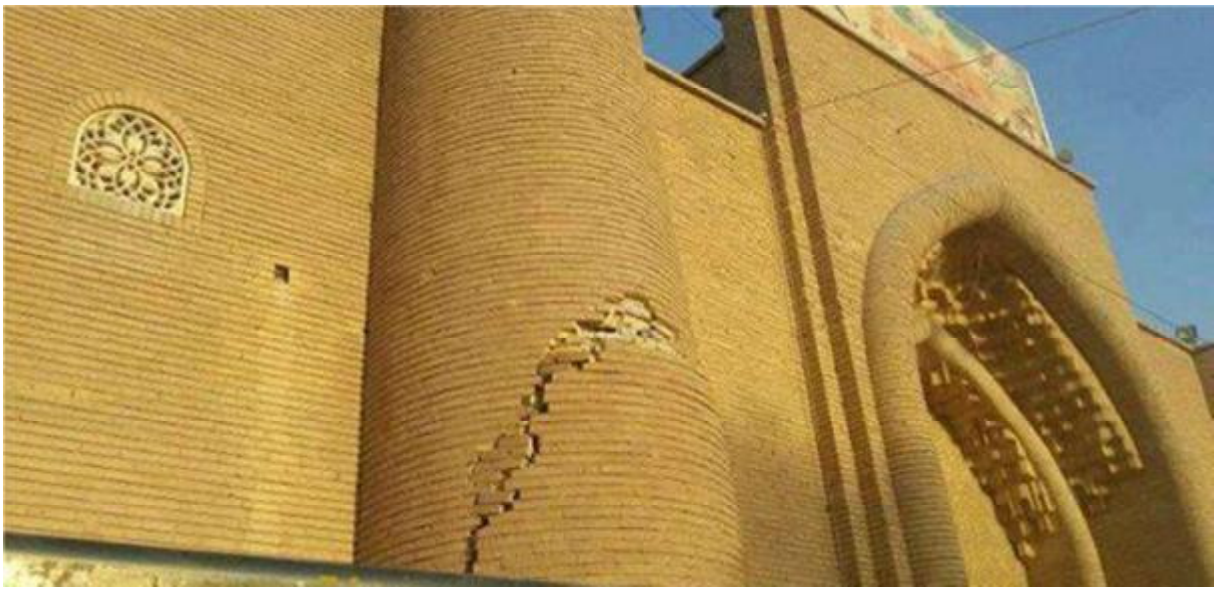

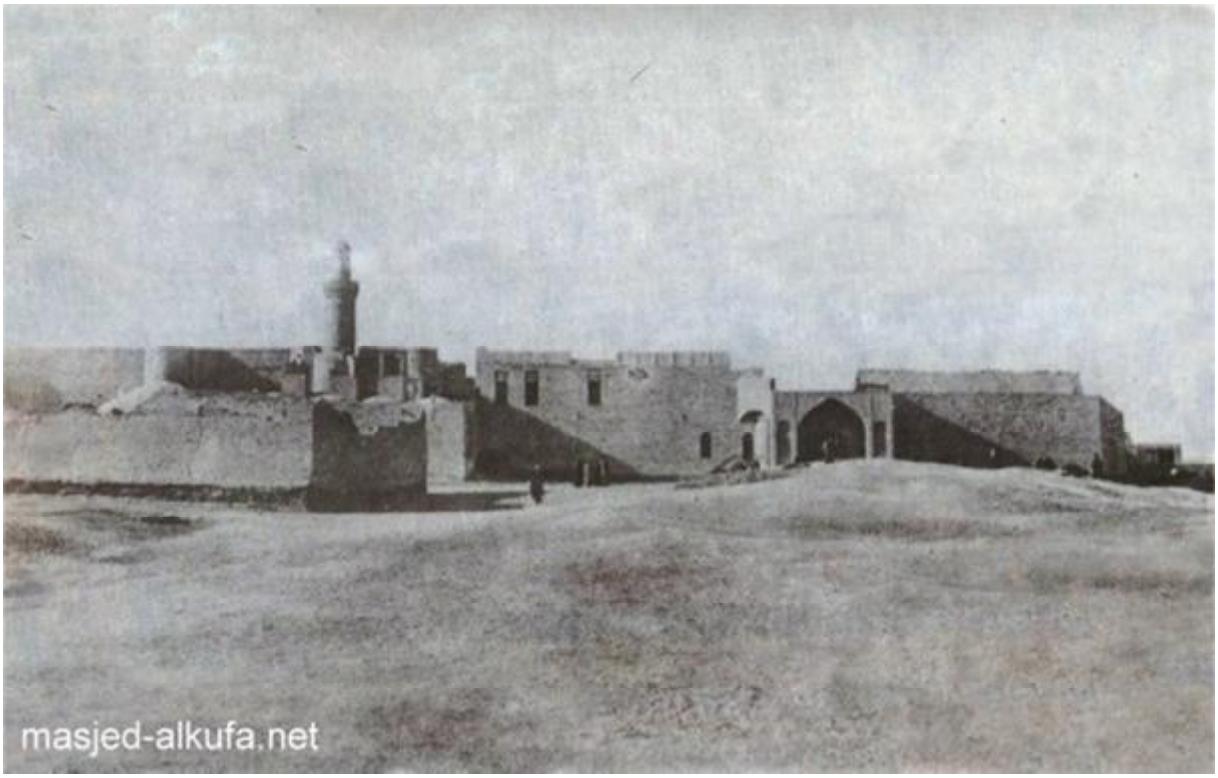
masjed-alkufa.net

يا علي لا يحبك المؤمن ولا يبغضك المنافق